

البيوت تتحدث والعالم يصمت

محمد الحرز

2023/12/21 09:35

- البيوت خرجت عن صمتها وبدأت تتكلم عن حياة ساكنيها وأسرارهم ! الخبر صحيح، يتداول في الصحف والمطباط الأخبارية العالمية، وحتى أنه أصبح «ترند» على منصات التواصل الاجتماعي، قل لي : ماذا يعني ذلك ؟! أهو لغز أم كذبة يروج لها الإعلام للدعائية، أم فكرة شاعرية تستهوي الحالمين الذين يريدون أن يرسخوا مبدأ العيش على المغامرة والمفاجآت المستحيلة الحدوث، والتي لا نراها سوى في أفلام هوليوودية على الطريقة الأمريكية؟!
- صاحبي يقرّب شاشة جواله أمام عينيه؛ لأرى مجموعة من البيوت متنوعة الحجم والطول تتخذ لها موقعاً في ساحة عامة راقعة لافتات وكأنها في مظاهرة مكتوب عليها «نطلب تعويضاً عن الصمت الذي عشناه سنين طويلة وإن سنتمر العالم ب المياه الأحاديث المغلقة للإحكام بأقفال محكمة وسيفرق العالم ولن ينجو أحد من الفوضى والفضائح التي ستؤدي للحروب والفتنة»، وعندما سألت صاحبي: في أي مدينة من العالم وقعت هذه الحادثة، فاللقطة لا توضح معالم المدينة، لا سيما وأن اللافتات مكتوبة بجميع اللغات، والأصوات المسموعة في اللقطة مجرد هممات عالية الصحيح وكأنها أصوات تذكرني بتلك الأصوات التي كنا نسمعها في فيلم كوكب القردة ؟!
- نظر إلىّ وتعابير الدهشة غيرّت من ملامح وجهه، رافعاً كلتا يديه في وجهي، وبصوت عالٍ : ماذا جرى لك يا صديقي !! هل أنت نائم مع أصحاب الكهف، أو أنت قادم من كوكب آخر ؟! ما تراه أمامك مجرد لقطة عابرة من لقطات كثيرة تُرصد حول العالم، وجميعها تكاد تكون بالطريقة ذاتها في المقطع الذي تراه أمامك: بيوت وعمارات وقصور لرؤساء وأغنياء ومباني ضخمة كلها ترفع الشعارات ذاتها .
- في البداية لم نكن نصدق ما نراه، والناس كانت ترى وتظن أنها مشاهد مقطعة من أفلام عالمية تعتمد على الخداع والتأثيرات البصرية، وعلى إثرها كانت النكات لا تتوقف بين الناس، والسخرية تنتشر بينهم والتآويلات بدأت تحتل

مساحة في أقوالهم وتفكيرهم، البعض يطن أن مثل هذه الأحداث هو مخطط مرسوم من أطراف غايتها اشغال الناس وإرعا بهم لأهداف وغايات سياسية أو اقتصادية مثلما هي أيام كورونا المرعبة التي عمّت العالم، أما البعض الآخر كان شاهداً على ما رأه، وقد خشي أن لا يصدقوا الناس فامتنع عن الكلام، وهناك القلة من الذين تحدثوا أمام الكاميرات عمّا شاهدوه من أحداث وعمّا سمعوه من أحاديث وأسرار من أفواه تلك البيوت مباشرة في الساحات العامة.

- بدأت الأسئلة تتدفق في ذهني وأنا أصغي في ذهول لما يقوله صاحبي: ماذا يجري في العالم، هل هذا حلم أو حقيقة؟! أدرك صاحبي ما أفكر به، وقال: كل ما يحدث غير منطقي تماماً، لكن عندما تسمع كلام إحدى البيوت ستشك بكل ما في الحياة من معرفة يقينية تربيت عليها وتعلمتها، وماذا قال حتى أشك إلى هذه الدرجة؟!! قال: ما لا تعرفوه أيها البشر حين تطلدون علينا أشياء جامدة، كنا نملك أرواحاً، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة تحدث في هذا العالم إلا ونملك نسخة منها في عالمنا الروحي رغم أننا لا نتوفر على حواس كالإنسان، كنا ننتظر اللحظة التي ستأتي يوماً ما ونقول فيها للبشر ها هو اليوم قد جاء وسوف نغير طبيعة الأشياء وسوف يكون الصمت طبيعة بشرية بعد هذا اليوم.

- والغريب أن الذكاء الاصطناعي الذي ابتكره الإنسان كان هو الأداة التي عجلت بهذا الحدث الذي ترونوه أما مكم. عمّا الصمت بيدي وبيدين صديقي، وقلت في نفسي لقد بدأت البيوت تعمل بجد.